

# مقام سيدي شيبان



تنفيذ

دعم

 الرؤية الفلسطينية  
PALESTINIAN VISION

**HEKS** 

إعداد: أحمد حنيطي



صویر: سامر الشریف

## مقام سيدي شيبان

تشكل المزارات والمقامات في فلسطين معلماً عمرانياً وطبيعياً بارزاً في التاريخ والتراث الفلسطيني، حيث يستطيع المتجول في جبال ووديان وتلال فلسطين، وكذلك في قراها ومدنها مشاهدة ذلك المشهد المعماري والطبيعي المميز لتلك المزارات والمقامات، ويشكل مقام الشيخ شيبان في الشمال الشرقي لمدينة البيرة نموذجاً حياً لهذا المشهد الذي تحدثنا عنه، فهذه الورقة تتناول مقام سيدي شيبان، ولهذا فإن هذه الورقة تبدأ بإعطاء لمحة عامة عن المقامات والمزارات في فلسطين ومن ثم تناول مقام سيدي شيبان كمثال على ذلك.



## المقامات في فلسطين

يوجد لكل جماعة بشرية أو شعب من الشعوب معتقداته وطقوسه الدينية والشعبية، ولهذا نجد في الدين الشعبي العديد من الطقوس والممارسات الدينية التي تحاول فيها تلك الجماعات التقرب إلى الآلهة، ويعتبر الشعب الفلسطيني مثلاً حياً على تلك الشعوب، حيث تكثر المقامات والمزارات للأنبياء والأولياء الصالحين في فلسطين، ويقول توفيق كنعان الذي يعتبر رائد دراسة المعتقدات الشعبية الفلسطينية أن المزارات والمقامات تنتشر في فلسطين بكثافة عالية، حيث تكاد لا تخلو كل قرية أو مدينة فلسطينية من وجود مقامات ومزارات، يقول كنعان: «المواقع المقدسة في فلسطين لا تحصى. ففي كل القرى تقريباً، على الجبال وفي الوديان، وفي الحقول، نرى تلك المواقع. وبالكد تكون هناك قرية، مهما صغرت، لا تكرم قديساً واحداً على الأقل. وبصورة عامة فإن كل مكان مأهول يفاخر بأن لديه الكثير» (كنعان 1998: 25). من تلك المقامات ما تنتشر

شهرته في قرية محددة وأخرى في القرى المحيطة، وأيضاً بين كل الفلسطينيين كما هو مقام النبي موسى إلى الجنوب الغربي من مدينة أريحا، أو مقام النبي روبين بالقرب من يافا، كما يوجد هناك الكثير من المقامات التي لا تتجاوز شهرتها أبعد من القرية التي تقع بالقرب منها، وبالتالي نجد هناك طبقات ومكانات مختلفة للمقامات الذي يعكس بالتالي على شهرتها وأهميتها، وكذلك في تعقيدات المشهد المعماري لها وكذلك في الطقوس والمعتقدات الشعبية حولها. تحتل مقامات الأنبياء الدرجة العليا من حيث الأهمية والشهرة، بما تمثله من قداسة وأهمية دينية عليا، وكذلك من حيث قدرتهم على عمل المعجزات، يحصي شكري عراف عدد مقامات الأنبياء والرجال الذين ظهروا في القرآن والتوراة حوالي 707 مقاماً، يضاف إليها مئات المقامات التي تحمل أسماء الصحابة والشهداء ورجال الدين وغيرهم (عراف 1993). تقع الغالبية من المقامات والمزارات الدينية في فلسطين في الأماكن العالية





مكان بعيد، وبالمقارنة فإننا نجد القليل من الأولياء ممن شيدت مزاراتهم في الوديان. وعندما يوجد مثل ذلك البناء يكون عند ملتقى واديين، أو في مكان يوسع الوادي فيه مجراه، ليصبح بالإمكان رؤية المقام من مسافة بعيدة من اتجاهات مختلفة» (كنعان 1998: 27). ويقول حمدان طه: يوجد ارتباط وثيق بين الديانات والمقدسات، حيث يوجد

وسفوح الجبال، يقول كنعان: «تقع المواقع المقدسة، بشكل رئيسي، في أماكن مرتفعة، على قمة جبل أو تل أو رابية في السهل، وبصورة تجعلها تسيطر على المنطقة المجاورة. وحتى تلك المزارات التي تبني على منحدر جبل أو بالقرب من مجرى الوادي، فإنها تبني بحيث تسيطر وتشرف على المنطقة المحيطة بها، وبحيث تُرى من



وبقايا الكنيسة، وأجزاء من السور المحيط بالموقع والكهف والبئر» (حمدان2006: 29). كما توجد المقامات عادة خارج حرم القرية، أي في أطرافها بين المزارع والحقول، وهناك أعداد قليلة جداً توجد داخل القرى والمدن، وأحياناً أصبحت داخل التجمع السكاني نتيجة التوسع العمراني. يوجد تنوع في أشكال المقامات والمزارات

لدلائل لتأثير سابق لمكان وجود المقام، مما يعني وجود قدسية للمكان قبل تشييد المقام فووه، كما هو الحال في مقام الشيخ القطرواني في قرية عطارة قرب بيرزيت، حيث دلت التنقيبات الأثرية أن مقام الشيخ القطرواني «شيد على أنقاض دير أثري مهجور من الفترة البيزنطية. وتتشكل العناصر الرئيسية للموقع من مبنى المقام





صبيغ النذور والقسم تصبح هذه النقطة واضحة. أن الرجوع الأول هو إليهم وبعد ذلك يتم التفكير في الإله» (كنعان 1998: 291-292)، لهذا يوجد طقوس وممارسات شعبية تقديس المقام وترفع من شأنه، وتنوعت تلك الطقوس والممارسات ويمكن إجمالها بالممارسات الدينية كالصلوات والأدعية والاحترام والبركة، والحماية حيث كانت توضع ممتلكات الناس بهدف حمايتها، وخاصة الممتلكات المتعلقة بالأدوات الزراعية في المقامات القريبة من الأراضي والحقول، يقول عراف: «نرى أن انتهاج هذا السبيل من اختيار أمكنة لوضع الأمانات عندها إنما هي نتيجة ظروف حياتية فرضت نفسها على أصحابها، فاتفقوا على أنماط من السلوك تضمن لهم جميعاً استمرارية الحياة وعدم ذهاب تعبهم سدى، إذا ما نوى أحدهم اختراق الحدود التي وضعوها واستنوها لأنفسهم فتصبح العادة أقوى من القانون في مجال حفظ المصالح الفردية والجماعية» (عراف 1993: 611)، ولهذا كان الناس يضعون في ساحات المقامات الأدوات الزراعية كي لا يجلبونها من بيوتهم

طيبة مع الأولياء، لأن الولي هو المعين، الطبيب، والمواسي، والوسيط بين الانسان والاله» (كنعان 1998: 278) ويضيف كنعان «وقد شعر الناس ببعيد المسافة بينهم وبين الله، وبدا لهم أن من المستحيل أن يصل المذنب مباشرة إلى الله، ولذلك فهو بحاجة إلى وسيط توفيقى 'لولا الوسطة لذهب الموسوط' وهذا الشعور مميز لجمع الناس والأعمار والأديان» (كنعان 1998: 291). ويضيف كنعان أيضاً: «أن جميع الأولياء كانوا في وقت من الأوقات بشرًا، يعيشون كما نعيش. وقد خبروا بلحمهم كل المآسي، والصعوبات، والمرض، وآلام الحياة. وهم يعرفون أيضاً أكاذيب الانسان ومكائده، ولذلك فهم يشعرون بنا وبمصائبنا ويفهموننا أكثر مما يمكن أن يفعل الإله. وفي نفس الوقت فإن غضبهم يمكن أن يهدأ بسهولة، ويظل الأمل عند الانسان بإتخاذة لإجراءات احتياطية، بأن يفلت من عقوبتهم أو يهدئها. وهذا يوضح جزئياً لماذا اتخذ الأولياء تدريجياً مكان الله، فالنذور والتقدمات بإسمهم، كما تطلب المساعدة منهم أكثر مما تطلب من الله. وإذا راجعنا

وكذلك من قبل الناس العاديين الذي يسعون لهدمها وتخريبها بغرض استغلال الأرض والمنطقة المحيطة بها. إن الاهتمام بالتراث الحضاري والمعماري لهذه المقامات والمزارات في فلسطين يكاد لا يذكر، وذلك من جهتين، الأولى هي المعرفة، حيث نجد شح في الدراسات الفلسطينية التي تتناول تلك المقامات والمزارات، وبالتالي عدم التكوين المعرفي لجانب مهم من التراث والهوية والتاريخ الفلسطيني، ومن ناحية ثانية عدم الاهتمام بالحفاظ على هذه المقامات والمزارات بترميمها وصيانتها، حيث يكاد ما تم ترميمه وصيانتها لا يذكر، فقد قامت دائرة الآثار العامة في وزارة السياحة والآثار سنة 1997 بتوثيق وترميم بعض المقامات ضمن مشروع ممول من الدول المانحة، وهناك بعض المجالس والبلديات قامت بمبادرة ذاتية بمحاولة ترميم أحد المقامات المرتبطة في القرية، وأحياناً كان يتم ذلك بطريقة غير علمية وعشوائية مما يؤدي إلى تشويه الحفاظ على هذا التراث كما حصل في مقام سيدي شيبان.

يوميماً إلى الحقول، كما كانوا يضعون عند المقامات انتاجاتهم الزراعية وخاصة ما تحتاج إلى تجفيف لإنتاج الزبيب والقطين. وكان الناس يربطون القماش بالمقام كدليل على الزيارة وتعميق الصلة بالآلهة، ورغبة بأن لا ينسى صاحب المقام طلبهم، كما كان الناس يقصدون المزارات والمقامات طلباً لشفاء مرضاهم فكانوا يقدمون النذور كنوع من الشكر، وفي كثير من الأحيان كان يتم الذهاب إلى المقامات للقسم وحلف اليمين. والاحتفالات بالأعياد وإقامة المواكب. إن هذا التراث الرمزي للشعب الفلسطيني تبدد وفقد الاهتمام الشعبي فيه مع التقدم والتطور في الصيرورة التاريخية للشعب الفلسطيني، وأصبح ينظر إلى تلك المقامات والمزارات كنوع من الشرك بالله والخرافة من قبل المؤسسات الرسمية بما تمثله من سلطة دينية رسمية، وفي ظل هذه الهجمة من محاربة ما تمثله المزارات والمعقدات من قداسة تعرض الكثير من تلك المزارات والمقامات إلى تخريب ونهب من الباحثين عن الآثار بغرض المتاجرة،



## مقام سيدي شيبان

يقع مقام سيدي شيبان في أقصى الجهة الشرقية الشمالية لمدينة البيرة، ويعتبر الأهم بين سبعة مقامات تحيط في المدينة، وهي مقام الشيخ شيبان، مقام الشيخ يوسف، مقام الشيخ نجم، مقام الشيخ مجاهد، مقام الشيخ سلمان، مقام الست أم خليل ومقام الست بطمة، حيث يرتبط مقام الشيخ شيبان أكثر بأهالي البيرة وبعض القرى الشرقية للمدينة، ويقول صالح عبد الجواد أن مقام الشيخ شيبان «يتميز من بين مقامات البيرة وعدة مقامات في قرى مجاورة بأنه كان لا يحترم فقط من سكان 'قرية البيرة' وإنما من كثير من القرى المجاورة وكان ينظر لزيارته كبديل عن زيارة نبي رئيسي كمقام النبي موسى في حال تعذر ذلك»<sup>1</sup>. كما وتمثل أهمية مقام الشيخ شيبان من خلال تسمية الموقع، ففي الخرائط التي تحتوي على عيون المياه والمواقع الأثرية في البيرة التي أعدها الباحث شوامرة تظهر في الخرائط مواقع:

خربة الشيخ شيبان الشرقية، خربة الشيخ شيبان الغربية، عيون الشيخ شيبان، مقام الشيخ شيبان، جبل الشيخ شيبان (شوامرة 2015).

لا يوجد معرفة علمية حول صاحب هذا المقام «الشيخ شيبان»، وهذا هو حال الغالبية العظمى من المقامات في فلسطين، وهذا يرجع إلى ارتباط هذه المقامات بالدين والمعتقدات الشعبية الفلسطينية، ولهذا تكثر الروايات حول صاحب المقام، وهناك روايتان عن هوية هذا الولي: «الأولى أنه جاء من المغرب العربي مع صلاح الدين الأيوبي لفتح القدس واستشهد في إحدى المعارك مع الصليبيين المستوطنين في البيرة والتي كانت خط الدفاع الأول عن مملكة القدس الصليبية، فدفن هناك ونال الولاية بعد موته، فبنى له أهالي البيرة ذلك المقام في الفترة الأيوبية. وفي رواية أخرى يقال بأن سيدي شيبان كان شيخاً متصوفاً اعتزل الناس ليهتم بأمور الدين فنال الولاية، فيما بنى مقامه في الفترة العثمانية.» (مسعد

1 . قطعة رخام مكتوب في محيط المقام كتب عليها بقلم صالح عبد الجواد.

ترجع جميعها للفترة العثمانية، وبالتالي فإن المقام عثمانى بني على موقع أثري عثمانى” (شوامرة 2015: 192). يتكون المقام من غرفتين تعلوهما قبتان، الأولى وهي الأكبر تقع في الجهة الغربية استخدمت كمصلى، حيث كان أهالي القرية يذهبون إلى المقام بقصد الصلاة حيث يدل المحراب الذي يقع في الجهة الجنوبية للغرفة على هذه الوظيفة، كما يوجد في جدران الغرفة كوة لوضع الشمع والقناديل. ويوجد في الجهة الشمالية من الغرفة باب تعلوه قبة نصف دائرية، أما الغرفة الثانية في الجهة الشرقية فهي أصغر حجماً وارتفاعاً، وهي غرفة الضريح، حيث يوجد

(2013). ويقول شوامرة أن دفاتر الطابو للواء القدس الشريف لعام 1525 م أشارت “إلى حصة وقف في البيرة الكبرى تعود لمحبح الدين (مجد الدين) عبد الملك أبو بكر موصللي، وقد ذكر مجبر الدين أن عبد الملك هو ابن الشيخ الإمام العالم أبو بكر عبد الله الموصللي الشيباني الشافعي، أحد أعيان المشايخ والزهاد بالقدس الشريف، أما عبد الملك فهو من أهل العلم أيضاً ومن مشايخ الصوفية، وتوفي سنة (844هـ/ 1440 م)” (شوامرة 2015: 193)، وتدل المعطيات الأثرية التي “تتمثل بالعناصر المعمارية في مبنى المقام والبقايا الأثرية الفخارية المنتشرة في محيطه، فإنها



الخطوط عملت خطوط أخرى منحنية تقريباً أو أنصاف دوائر عددها (15)، وبالتالي شكلت صورة أشبه بالمحاريب تحيط بقاعدة القبة“ .  
(شوامرة 2015: 194)

تنتشر حول المقام عيون المياه ومجموعة من أشجار السنديان (البيلوط) وهذا يدل على الارتباط الانتاجي والديني مع المقامات، وقد حافظت أشجار السنديان على وجودها رغم التغير السلبى الذي طرأ على علاقة الناس مع المقامات، حيث حُفظت تلك

القبر داخل الغرفة مغطى بسجاد لونه أخضر، للغرفة باب صغير من الجهة الشمالية. وقد بنى المقام «من حجارة مدقوقة ومشذبة تتخللها الملونة، ووضعت بينها القصاره، والتي تظهر عليها آثار زخرفة قوامها أشبه بغصن النخيل،» (شوامرة 2015: 193). وترزين قبة المثلث من الداخل «بزخارف نافرة، قوامها خطوط نافرة تحيط بها، بحيث تشكل تلك الخطوط ما يشبه الصدفة أو الشمس، وأسفل قاعدة القبة وبين



الأشجار في منطقة خالية تماماً من الغطاء النباتي، يصف كنعان وجود الأشجار التي ارتبطت قدسيتهما بالمكان المقدس "إن المسافرين عبر فلسطين، ليشعر بالصدمة إزاء عري المناطق الجبلية، ويمكن له أن يصادف هنا وهناك بعض الحدائق والبساتين والكروم عموماً، وهي مصطفة في محيط القرية... ونجد، هنا وهناك، على الجبال الجرداء، أو في السهول، شجرة كبيرة منعزلة أو مجموعة أشجار مبعثرة، تعطي جمالاً خاصاً للمنطقة، وتضفي على المنظر مشهداً حيويًا رائعاً. إن هذه الأشجار مظلة المسافرين المحببة. فهي تحميهم من أشعة الشمس الحارقة، وتعتبر مقدسة عند المسلمين لأنها تدل على وجود نبي، ولي، أو شيخ. وكانت قداسة هذه الأشجار التفسير الوحيد للنجاة من التخريب الذي آلت إليه غابات فلسطين" (كنعان 1998: 25).

تدل المعالم الطبيعية لموقع المقام على وجود أراضي زراعية في المنطقة، حيث لا يزال هناك وجود للسلاسل الحجرية التي بنيت بالفعل البشري، وكذلك وجود العديد من المصاطب الذي بنيت ليتمكن الفلاحين

الفلسطينيين من زراعة السفوح الجبلية الوعرة من أراضيهم. ويعزز هذا الاستنتاج من المعاينة الميدانية للأراضي حول المقام، قول هاشم عابد من سكان البيرة ذلك، حيث يوجد لعائلته أراضي بالقرب من مقام الشيخ شيبان، وقد كان هاشم عابد يذهب مع عائلته إلى تلك المنطقة لجني محاصيل التين والعنب والسفرجل، ويضيف أن هناك الكثير من العائلات التي تملك أراضي وكانت تفلحها بالأشجار وزراعة القطناني (البقوليات)، ولكن قام سكان البيرة بالتخلي عن الزراعة بعد الستينات والسبعينات نتيجة لعملية العزوف عن الزراعة كما حصل في فلسطين بشكل عام، واعتماد السكان على مصادر دخل أخرى، وفيما يتعلق بأهالي البيرة هو هجرة بعض سكان البيرة واعتماد بعضهم على التحويلات المالية من أقربائهم في المهجر<sup>2</sup>. وجود المقام في منطقة زراعية ووعرية في ذات الوقت، يمكننا الاستنتاج أن المقام تضمن وظائف لها علاقة بمساعدة المزارعين في حماية أدواتهم الزراعية وإنتاجهم الزراعي، حيث تشكل وعورة المنطقة إلى

في الزواج، فتقول البنات في حضرة المقام  
“يا سيدي شيبان، أنا جيتك زابرة، البنات  
تزوجن وأنا ضليت بايرة”، ومن عادة أهالي  
البيرة الذهاب إلى المقام لطلب المطر،  
حيث كان يذهب رجال القرية تلحقهم النساء  
إلى المقام وهم يحملون الديوك من أرجلها  
ويحركونها من أسفل إلى أعلى ويغنون  
“ديكنا بقعك في الليل بده مطر بده سيل”،  
يوثق وليد ربيع هذه الأغنية التي كانت  
تغنى لطلب المطر، تمسك النساء بديك  
دجاج وتضغط على رقبتة فيصيح دلالة على  
العطش (ربيع 1976: 25):

وجود صعوبة كبيرة لدى الفلاحين في تنقل  
أدواتهم الزراعية بشكل يومي، مما يضطرهم  
إلى تركها في حماية الشيخ شيبان، وهذا  
يدل على كيفية التفاعل الطبيعي والقوانين  
التي يسنها سكان المنطقة ضمن الظروف  
والاحتياجات الخاصة بهم.  
يتحدث سكان البيرة على الممارسات  
والطقوس الدينية تجاه الشيخ شيبان، حيث  
كان سكان البيرة يذهبون إلى المقام للتبرك  
وطلب المساعدة، وكذلك لشفاء المرضى،  
وطلب عودة القريب المهاجر، وكذلك في  
طلب المطر وطلب الحمل، أو المساعدة

بده مطر بدسيل  
اطلب من ريك يسقيك  
بده مطر بدسيل  
بده زرع اباري الخيل  
يا ريتك في الميه تغرق

ويش بده قعاق الليل  
اطلب من ريك اديك  
ديكنا بيقعط بالليل  
ديكنا بزرق في الليل  
يا ديك يا ابو عرف ازرق

لنساء البيرة دلالة على مكانة الشيخ شيبان  
العظيمة بين سكان البيرة، ويضيف هاشم

ورغم أن الأغنية أعلاه كانت تطلب من الله،  
فإن استخدامها للطلب من الشيخ شيبان



للموقع، فقد تم قطع شجرة السنديان (البلوط) الملاصقة للمقام بهدف حمايته، وذلك رغم اعتبار شجرة السنديان جزء من قدسية المقام حافظت على نفسها طول عشرات السنين بواسطة تلك القداسة، كما أن أعمال الصيانة الخارجية والطراشة الداخلية للمقام أخفت الكثير من النقوش والزخارف للمقام، يضاف إلى ذلك عدم الاهتمام بالمشهد الطبيعي لمنطقة المقام أثناء عملية شق الطريق التي توصل إليه.

إنه من دواعي الضرورة إعادة الاهتمام بالموقع من خلال عمل منظم ومخطط لموقع المقام بما يحافظ على الأشجار المحيطة به، والعناية بالأشجار التي تم زرعها مؤخراً، وكذلك صيانة الطريق المؤدية للمقام بحيث تتمكن السيارات من الوصول إليه بسهولة، وعمل صيانة للألعاب الأطفال، وتسييح كل الموقع، وتوفير المستلزمات الضرورية لضمان تشجيع أهالي المنطقة للسياحة في هذا الموقع.

عابد أن النساء كن يذهبن ويربطن الخرق بالمقام أو يضعن بعض النقوذ في قطعة قماش ويضعنها على القبر، وهناك من أهالي البيرة من كان يتبرع للمقام بالحصر والزيت والأباريق بهدف التبرك<sup>3</sup>.  
يقع المقام في المنطقة المصنفة «ج» وفق اتفاقيات أوسلو، وعلى أرض وقفية تبلغ مساحتها 160 دونماً، ومن أجل الحفاظ على الموقع من المصادرة وإحياء المواقع الأثرية في المدينة، قامت مبادرة شبابية في بداية العام 2013 بترميم المقام وذلك في ذكرى يوم الأرض. كما أحيط المقام بسياح، وتم زراعة مجموعة من الأشجار غير المثمرة، إضافة إلى ذلك، وضعت مجموعة من الألعاب الخاصة بالأطفال في محيط المقام وذلك بهدف تحول الموقع إلى مكان للتنزه واللاستجمام يقصده الأهالي مع أطفالهم، ويشجع زيارته من أجل المحافظة على هذا الموقع من المصادرة.  
لم تأتي عملية الترميم وفق دراسة وتخطيط علمي، وبشكل يحافظ على المعالم الأثرية

3. مقابلة مع هاشم عابد، تم ذكرها سابقاً.

## المراجع

- شوامرة، عوني محمد. 2015. تاريخ البيرة مع معالمها الأثرية. البيرة: وزارة السياحة والآثار.
- عراف، شكري. 1993. طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة، جزء 2. ترشيحا: مطبعة اخوان مخول.
- ربيع، وليد. كانون الثاني 1976. «فصل الشتاء في حياة الفلاح الفلسطيني». في مجلة التراث والمجتمع. مج 2، ع 5، البيرة: جمعية إنعاش الأسرة.
- كنعان، توفيق. 1998. الأولياء والمزارات الاسلامية في فلسطين. رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية.
- مسعد، دانة. أيار 2013. «المعالم الأثرية الفلسطينية: مقام سيدي شيبان بين مطرقة الزحف الاستيطاني وسندان محاولات الترميم والتأهيل العشوائي». آفاق البيئة والتنمية، عدد 54. رام الله: مركز معا التنموي.

<http://www.maan-ctr.org/magazine/Archive/Issue54/topic8.php>





# نروي

## الأرض والحكاية

يهدف مشروع نروي للحفاظ على الهوية والإرث وطرق العيش في المجتمعات الفلسطينية. حيث نسعى من خلال هذا المشروع إلى إحياء ستة مناطق أثرية وطبيعية حول محافظة رام الله، والتي تشكل جزء هام من الهوية الفلسطينية التاريخية والإرث الحضاري الفلسطيني. ينفذ المشروع مؤسسة الرؤيا الفلسطينية، بالشراكة مع وزارة السياحة الفلسطينية وبتمويل من مؤسسة HEKS مجلس المساعدات الكنسي السويسري.

### مؤسسة الرؤيا الفلسطينية

ش. الرشيد، عمارة الغرفة التجارية الطابق الخامس، القدس  
02-6285080 | info@palvision.ps | www.palvision.ps